حـــواء

للأستاذ علي أحمد باكثير

قلبي يحن إلى عهودك ... وإلى رضائك أو صدودك
وإلى محيًّا ساهمٍ ... فيه القضاء على عميدك
فيه شكاياتي وأحـ ... ـزاني وآلامي ويأسي
وضناي فيه ووحدتي ... من غير آسٍ أو مُواسِ
يرثي له قلبي فلا ... يرثي لغير مُصابه ...
فكأنه المرآة يُبـ ... ـصر فيه قلبيَ ما به !
حتى إذا ما افترّ ثغـ ... ـرُك عن ثناياك العِذاب
وهفا الضياء على لَمَا ... ك كأنه العسل المُذاب
وتلألأت عيناك وانـ ... ـبثق الشعاع الحالمُ
خطرتْ لي الدنيا بفيـ ... ـك فكل شيء باسم !
خطرت كوجه الأمّ يبـ ... ـسم للوليد الراضع
يسرى بثدييها على ... نَهَر النعيم الواسع !
عَقَلَ ابتسامتها لأول ... مرةٍ في عُمره
فرنا بطرفٍ فيه أولُ ... خفقةٍ من فكره !
عقل الحقيقة كالخيال ... هناك في تلك الدقيقه
ولطالما من قبلُ كا ... ن له الخيال هو الحقيقه
أو كالوجود بدتْ لعبـ ... ـقريّ شاعرٍ أسرارُه
في لحظةٍ من وحيه انـ ... ـهتكتْ له أستاره
فكأنه لم يدرِ أو ... يرَ قبلها في الكون شيا
أو كان صخراً مسّه ... سرُّ الإله فقام حيّا
يا نظرةً كُنتُ الوليـ ... ـد بها وكنتُ الشاعرا !
والأمّ كنت بها وكنـ ... ـتِ بها الوجود الساحرا
ما كان ثمّةَ غيرُ عيـ ... ـن الله ترعانا حنانا
وكأنه من عطفه ... إذ ذاك لم يخلقْ سوانا !
يا ليت شعري هل أحسّ ... بمثل ما أحسستُ آدم
لما بدوتِ لعينه ... حوّاء في عهد تقادم ؟
فهفا إليك كما هفوتُ ... وما له أمٌّ سواكِ
فرحمتِه وجررتِ على ... أطراف جُمّته يداكِ !
أخرجتِ آدم من جنا ... ن الخلد لكن كُنتِها له !
أنقذته بهواك من ... تلك السآمة والملاله
فأحسّ في الدنيا الشقا ... ء وكابد الألم الكبيرا
فازدادَ بالسرّاء والـ ... ـنعماء في الدنيا شعورا
ما بالُ آدمك الجديـ ... ـد تركتِه في شِقوته ؟
لم ترحمي بلواه إذ ... أخرجتِه من جنّته
قد كان يأمل إذ عصى ... مولاه فيك مزيد عطفك
ويح الشقيّ ... حرمتِه ... من لطف مولاه ولطفك !
أهبطتِه من جنّتيـ ... ـه فهام في الدنيا شريدا
يبكيك في المأوى ويبـ ... ـكي عهدك العهد السعيدا !
كيف السبيل إلى الرجو ... ع إلى نعيمي السالف ؟
وشفاء حرّى مهجتي ... وسكون قلبي الواجف
وبأيّ وجهٍ بعد عصـ ... ـيانيه ألقى وجه ربي ؟
ولئن جرؤتُ فمن لقلبي ... في يمينك ... من لقلبي ؟
أأجيئه من غير قلبٍ ؟ ... كيف كيف يكون ذاك ؟
رديه لي أطلبْ رضا ... ه حين لم أدرك رضاك !
حوّاء ذات الدلّ ! فيم ... عدلتِ إلاّ فيّ وحدي ؟
وعلامَ يا حوّاء حافظة الـ ... ـعهود نسيت عهدي ؟
لم تُنصفيني إذ برر ... تِ بآدمٍ وقطعتِ حبلي
وهو الذي ما إنْ حَمِدْ ... تِ به ولم تضميه مثلي !
أنا منكِ يا حوّاء ... أجدر بالحنان ... وليس منكِ
إن كنتِ منه فتلك أسـ ... ـدُ مزيّةٍ تقصيه عنك ...
إن الحياة تعقّ بنتا ... دأبها وتبرّ أمّا ...
هلاّ سلكتِ سبيلها ... فقسمتِ لي بالبؤس نعمى !
أم شئتِ أن تلني الوجو ... د لتبتدي في الخلق طورا ؟
لم تغفري الأولى ... أأجني ... فيك يا حوّاء أخرى ؟!

علي احمد باكثير